فن الكوميديا بين المسرح والسينما

The art of comedy between theatre and cinema.

العابد عبد العزيز[1]،

[1] جامعة زيان عاشور –الجلفة–، ellabed.abdelaziz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/12/15 تاريخ القبول: 2019/05/22 تاريخ النشر: 2019/06/01

Résumé

La comédie occupe une place importante dans les arts visuels, y compris le théâtre et le cinéma, et ses représentations ont pris un caractère artistique différent, le théâtre et ses caractéristiques artistiques différentes du cinéma et de ses techniques, mais les deux techniciens cherchent à divertir le spectateur et à présenter divers problèmes de société à son auditoire. Le théâtre grec et même l'apparition de l'écran de cinéma que les scènes de la parodie caractéristique du diagnostic des manifestations techniques de maladies communautaires, cet article tente de détecter. L'efficacité de la comédie pour influencer le spectateur à travers le théâtre et le cinéma.

***Mots-clés**: comédie; théâtre; cinéma; scènes; influence artistique*

المؤلف المرسل: العابد عبد العزيز، **الإيميل**: ellabed.abdelaziz@gmail.com

المقدمة:

" سعى المسرح منذ قديم الزمان (الإغريق)الى فكرة عامة أو عقيدة نظرية لا تنفصل عن ثقافة العصر الذي يعيشه، بينما نرى الفيلم في السينما منذ بداياته يكسب ويفوز بكل مطالب الإنسانية بحكم توظيفه لعناصر جديدة من التقدم التقني والفني الذي ينار فيه طريق الفيلم، صحيح أن لكل منهما –المسرح والسينما –عناصره الأساسية التي تبدو مختلفة ومتضاربة لكنهما يتقابلان، بل ويتعاونان أحيانا بفعل التقدم "[1]

المتن:

إن ازدهار الفنون التشكيلية والإيقاعية على خشبة المسرح، خاصة بعد دخول الموسيقى المصاحبة إلى خشبة المسرح، هذا الأمر أدى إلى إزاحة الشخصية المسرحية وأدى إلى الاهتمام بالصورة على حساب النص والحوار والكلمة المنطوقة مما أدى إلى تراجع المسرح على حساب تقدم الفيلم، دون أن نغفل أن ظهور فن الاوبيرايت (موضة الدراما الموسيقية) شكل فارقا في مسيرة كل منهما وكان بمثابة أول التقاء بالمعنى الكامل بالنسبة للمسرح والسينما.

((ويعد المخرج النمساوي ماكس رينهارد أول مخرجي المسرح الذين جسدوا العلاقة التعاونية بين المسرح والسينما، تجسد ذلك في إخراجه لرائعة شكسبير حلم منتصف ليلة صيف حيث تفرع أسلوب إخراجه الفيلم إلى فرعين :1-تسلسل الصور في الفيلم تبعا لمشاهد المسرحية 2-تحويل المشاهد السينمائية إلى الروح السينمائي))

وقد عمل على إحداث إضافات تقنية لتحويل العمل من المسرح إلى السينما، هذه الإضافات لم تمس جوهر العمل نفسه، كإيجاد تأثيرات بصرية شتى وهذا ما يدعى بالمؤثرات البصرية حاليا، مع اختزال الحوار المسرحي والمكان وتحويله إلى صورة سينمائية معبرة.

هذا وجه من أوجه التلاقي الأول بين المسرح والسينما ,إلا أن هناك منظرين نادوا بفكرة موت المسرح , وهذا بعد ظهور السينما لأنه في اعتبارهم ما السينما إلا وجه متطور للعرض لذلك لا داعي لبقاء وجه العرض التقليدي , وكذلك برأيهم بأن السينما ببريقها و أضوائها ستخطف جماهير المتلقين من المسرح ,وقد كتب رينيه كلير :"إن ظهور الأفلام خاصة الناطقة في ثلاثينيات القرن الماضي , كل ذلك لم يؤد إلى موت المسرح وأن كل المسرحيات التي تلت و تنبأت بموت المسرح أمام السينما ,كلها كانت خاطئة بل العكس هو الصحيح , فالسينما أنقضت المسرح مرات كثيرة , فالمسرح قد استفاد في تطوره من تقنيات سينمائية كثيرة "[2]

لقد عانى المسرح في السنوات الأولى لبدايات السينما، هذا بسبب انصراف المتتبعين الى الفن الجديد وإهمال المسرح، وكذا انبهار جماهير المتلقين بالفن الجديد، واعتبار المسرح فن قديما، لكن سرعان ما تلقى المسرح شحنة جديدة بعد إدخال عناصر بصرية عليه ومؤثرات سينمائية أعادت اليه بريقه، قد أخطأ من تنبأ بموت المسرح لأنه لم يكن على دراية تامة بالعلاقة بين هذين الفنين الدراميين، فقد عمل الفيلم السينمائي على إعادة تكوين وسائل التعبير في المسرح.

الصورة السينمائية والصورة المسرحية:

"الفيلم يعرض صورة على الشاشة، والمسرح يعرض صورة على الخشبة المسرح وكلاهما يستند في ذلك إلى لغة التشكير الحركي الذي تسمى الميزانسين وهذا هو الجانب البصري، والمرئي بطريقة فنية تشكيلية تخضع لقواعد الفنون التشكيلية والمعمارية من حيث الكتل والحجوم والمساحات والفضاء والخطوط وطريقة التعامل مع المنظور واللون والحركة، في المسرح والسينما تكون حقيقية وليست متوهمة كما في اللوحة أو التمثال مثلا "

وإذا كان المسرح يقدم صورة عن الحياة بطريقة مبتكرة فيها الكثير من عمليات التجميل والتنميق، إلا أن السينما تنقل لنا الحياة والواقع بكل حذافيرها على شكلها الطبيعي، وكأننا نراها بالعين المجردة هذا بكل صيرورة الواقع وحركته اليومية، وشخوصه العادية التي نراها يوميا في الشارع والطريق.

"وطالما أن الناس الذين على الشاشة يسلكون سبل الكائنات البشرية ولهم تجارب إنسانية، فليس من الضروري لنا أن نراهم أمامنا كائنات جوهرية حيّة، أو نراهم وهم يشغلون مكانا فعليا، إنهم حقيقيون بقدر كاف كما هم ...وهذه الحقيقة الواقعية هي التي تجعل من الفيلم ممكنا "[3]

إن الصورة المسرحية تكون حيّة أمام المتلقي، فالجمهور يشاهد المسرحية في الوقت نفسه الذي يقوم فيه الممثل بتأدية الدور وحتى لو صورنا المسرحية لكاميرا وعرضناها على المشاهد لبقيت في نفس الصورة لأنها لم تتعرض لأي حذف أو زيادة، أما الصورة السينمائية فإنها تخضع للحذف والزيادة والقص وإعادة التركيب (المونتاج)، حتى تصل إلينا في صورتها النهائية التي يراها الجمهور، فالفيلم عبارة عن مجموعة من الصور تتحدى الآلاف يتم ربطها مع بغضها لتعرض علينا في صورتها النهائية التي نراها متسلسلة.

"وأيضا فالفيلم يكتسب صفة الملحمية من دخول الموضوع الى نقطة أكثر تكبيرا من مدخل المسرحية، ومن الطريقة المباشرة في عرض الحوادث التي ترد في المسرحية، مشارا إليها بشكل غير مباشر، الحوادث السابقة لبداية الصراع المسرحي وحوادث تقع خارج المنظر المسرحي المعروض بين المشاهد أو في أثنائها"[4]

إننا نرى في الفيلم عالما أكبر مما نراه في المسرحية التي تقع في فضاء محدود نستوعبه بالعين المجردة من مجرد نظرة واحدة، أما فضاء الفيلم فهو فضاء واسع غير محدود والحوادث فيه تتشعب ولا حدود لها، فالصورة السينمائية تصور لنا العالم الحي وهي توحي بالعمق (تلاشي الأبعاد) على الشاشة المسطحة، أما الصورة المسرحية أبعادها حقيقية غير وهمية ولكنها ضيقة الأفق.

كما تعتمد الصورة المسرحية على الحوار أما السينما تعتمد على الصورة بشكل أكبر، يقول أندري هارولد "إن المشكلة الرئيسية التي تواجه مؤلف الفيلم تكمن في معرفة متى يتوجب على الشخصيات أن تتكلم فلا ننسى أن الممثلين في لمسرح يتكلمون باستمرار "[5]

مما سبق يتبين أن الحوا هو الأساس في المسرح بينما أساس السينما هي الصورة، إذ يمكن لشخص ضرير أن يفهم مسرحية وشخص أصم أن يتفرج فيلم ولا يمكن العكس.

الكوميديا في المسرح:

اعتمد المسرح منذ بدايته على الحوار الذي هو أساس أي عمل مسرحي، فالحوار في المسرح هو معادل للصورة في السينما، وبما أن المسرح يقوم على الصراع "والكوميديا مثلها —مثل أي فن درامي —لابد أن تنبع من موقف، وهو وجود قوة متصارعة تخلق ما يسمى التعقيد...والكوميديا تعتمد إمكانية حل هذا التعقيد، بإحلال نوع من التوافق بين هذه القوى، يعيد المياه إلى مجاريها "[6]

وكما أسلفنا فيما أن المسرح مبني على الحوار، فقد جاءت أنواع الكوميديا المسرحية تبعا لذلك الأساس، بخلاف الأنواع السينمائية إلا بعض الاشتراكات في بعض الأنواع.

لذا فكوميديا المسرح تعتمد على النكت اللفظية السريعة والتهكم والسخرية والهزل الكاريكاتوري، لذا فمن الأنواع التي سنتطرق إليها في المسرح هي كوميديا الأنماط، الطبائع، كوميديا الثورية الساخرة، كوميديا الكاريكاتير وهذه الأنواع تختلف باختلاف المواضيع المتناولة في أي مسرحية.

وإذا ما أردنا تناول الموضوعات المطروحة في أي كوميديا مسرحية فهي لا تختلف عن الكوميديا الإغريقية إلا اختلافات بسيطة.

"فقد كان موضوع المسرحية في الكوميديا المسرحية في الكوميديا القديمة، يقوم على أسطورة أو قصة مسلّية، وسمة ذلك الهجاء اللاذع والنقد الساخر لأحداث المجتمع ونقائصه، وكانت هذه الكوميديا

(اصطلح عليها الأرستوفانية)، تتناول موضوعات لها أنماط من العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر "[7]

فقد تناولت كوميديا (لأرستوفانيس)موضوعات عديدة لها علاقة بالأساطير والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الأثيني، وكذا الجهل المتفشي بين أفراد هذا المجتمع، وكذا موضوعات أخرى لها علاقة بالأدب والنقد الأدبي وكذا الحرب والسلام الذي أصبح مطلبا للأثينيين بعد سلسلة الحروب التي أنهكتهم، تلك هي الكوميديا الأرستوفانية التي كانت تسخر من عيوب المجتمع بغية إصلاحها.

"أما الكوميديا الحديثة (الكوميديا المناندرية)، فكانت تصور مجتمعنا أكثر تدهورا، فقد إنتشر الفساد والرذيلة، وانتفت كرامة الفتاة إذ أصبحت المرأة بلا قيمة وتباع في أسواق النخاسة كالمتاع، كما انتشر اللقطاء، وكان على كوميديا مينا ندرا أو تمسك بعصا سحرية تأمل من خلالها تحويل علاقات غير شرعية الى علاقات شرعية، وكانت النهايات دوما ما تنتهي بزواج حبيب وحبيبته"[8]

"كانت النهايات السعيدة التي كان مينا ندروس ينهي بها سر حياته، والتي كانت تتمثل في زواج الشاب والفتاة التي يحبها بعد التعرف على حقيقة مولد من كان لقيطا منهما، كانت نهاية ذات مغزى وليست عرف كوميديا"[9]

إن كلا من الكوميديين يتعرضان لمشاكل المجتمعات ونقائصها، وكأنها نفس نقائص المجتمعات الحالية، لذلك إذا درسنا أي مسرحية قديمة لأحسسنا أنها تعالج مجتمعا من مجتمعاتنا.

إن المسرح الكوميدي في أي عصر لا يختلف كثيرا عن المسرح الكوميدي الإغريقي، والدليل على ذلك أن الرومان ترجموا الكوميديا الإغريقية الحديثة واقتبسوها، والمسرح الفرنسي قد نقل عن المسرح الروماني الكثير، كما لا يمكننا إغفال أن شكسبير قد تأثر بالمسرح الروماني الى حدّ كبير.

أما إذا اتجهنا اتجاها آخر ونظروا إلى النهايات في الكوميديا الحديثة والمعاصرة، فهي دوما تنتهي نهاية سعيدة، فإذا ألقينا نظرة على أيّ مسرحية كوميدية ,فلا يمكن أن نرى لها نهاية أخرى ,وهذا كان

دأب الكوميديا الإغريقية ,ويمكن تفسير ذلك بأنها (النهاية السعيدة)هي انتصار الإرادة الإنسانية على الضعف والتدهور ,وهي تبني بعودة العلاقات السرية بين أفراد المجتمع .

البناء الدرامي:

إن البناء الدرامي للكوميديا في المسرح يكون أكثر بساطة من نظيره في التراجيديا، فهو يحتاج الحدّ الأدنى من العلاقات والشخصيات والصراع فيها لا يحدث بها في التراجيديا والحلّ يأتي عكسيا، لكنه أكثر احتمالا من الجمهور.

"إن المسرحية الكوميدية الممتازة يحسن ان تتميز بسلطة الحبكة والبناء، وبمعنى ان نقتل قدر الإمكان من الشخصيات وتتقن رسمها، وأن تتحاشى الأحداث غير المحتملة والمقحمة "

وقد كانت الكوميديا القديمة لا تحتوي على بناء درامي بالشكل المتعارف عليه حاليا، بل تحوي قصة ليس فيها بناء (بداية، وسط،نهاية) بل هي مجموعة من المواقف المنفصلة عن بعضها ينتهي كل منها نهاية خاصة تؤدي لإضحاك الجمهور، ولا مجال فيها للذروة القصوى، بل هي متراوحة بين صعود وهبوط، فيها مجموعة من العقد وتنتهي بعدة حلول.

"وقد كان كتاب الكوميديا القديمة يركزون على المبالغة في التصوير بحيث تختل الأشياء، فيبرز التناقض في الحركة والحديث فيحدث الصراع بين الرعي ونزاعات النفس، أو بين تيارات الوعي، وينتج عن ذلك المفارقات...ومعنى هذا أن الموقف الذي تتبع منه الكوميديا، والذي نراه مجسدا على المسرح في الحركة والكلمة في جوهره موقف تنازع وتناقض داخلي، إمّا في كل شخصية على حدي، أو فيما بين الشخصيات بعضها "[10]

فالكوميديا في المسرح تعتمد خطا أساسيا، هو خلق المناقضات والمفارقات عبر سلسلة من المواقف المتصادمة والجلية والتي تكون في أغلبها الأعمّ، هذاما بين شخصيتين متناقضتين كل منهما تتخذ موقفا مضادا من الأخرى.

وهذا كان البناء الدرامي في الكوميديا الأرستوفانية ، الذي كان يعتمد كما أسلفنا على مشاهد جدلية تخلق الفكاهة .

"أما في الكوميديا الإغريقية الحديثة، فالأساس في بنائها دراميا هو الشخصية الى جانب حبكة المكيدة، في حين يقوم فن الكوميديا القديمة على الموضوع، أما في مسرحنا الحديث والمعاصر فيقوم على عرض مشكلة ما "[11]

والكوميديا في المسرح ينبغي أن يجدد فيها دور كل شخصية، وكذا إسمها وتحديد الإسم هدفه جعل المحتمل مقنعا والممكن واقعا حتى تتحقق للدراما أهم صفة لها، وهي الواقعية، فعلى الكوميديا أن تكون واقعية بالدرجة الأولى، واقعية في الأسلوب والأداء والمحتوى والمضمون. وكذا المحاكاة كان، فلا يمكن لكوميديا أن تكون خيالية ,فزيادة على أن الكوميديا مأخوذة من الواقع الاجتماعي فينبغي أن المؤلف الكوميدي أن يضيف بعدا كوميديا جديدا إلى الأبعاد السابقة ,وعلى مؤلف الكوميديا أن لا ينساق وراء رغبة الجماهير الساعية الى ما يثير الضحك ,مضحيا بذلك بالبناء الدرامي في سبيل إضحاك المتلقين .

"يقول أرسطو: من الكتاب فريق دأب على الانقياد للجماهير وعلى إخضاع الدراما تبعا لرغباتهم وهذا أمر شائع في الكوميديا "[12]

والشيء الذي ألمح إليه أرسطو في كثير من الكوميديات هو كمّ التناقض الذي تقع فيه أحيانا والذي يخل بالبناء الدرامي، كأن تتحول شخصيات من العداوة مثلا إلى الصداقة دون تبرير مقنع، فليس

غرض الدراما برأيه هو الإمتاع الغير محدود. بل الإمتاع الناجم عن المواقف المبررة ,كما أنه على المخرج أن يكون ذا هدف موضعي ,ويكون الإضحاك تبعا لذلك الهدف .

الكوميديا في السينما:

تختلف الكوميديا في السينما عنها في المسرح تبعا للاختلاف الكائن بين المسرح والسينما، فكما أن المسرح يعتمد على الحوار، فإن العمود الفقري للسينما هي الصورة وتسجيل الحركة، فالسينما تعرض كل التفاصيل بشكل بصري، هذا مع مراعاة الخيال الواسع، وكذا إدراك المحيط البصري للاهتمام بالموضوع من كل الجوانب.

"لقد ابتكرت السينما تسجيل الحركة، وجمالية السينما تتلخص في الحركة الخارجية للأشياء المنظورة بالعين، وهي قدرة الصورة على إعادة إنتاج الحركة، فالحركة هي الأساس الأسمى في السينما، والحركة هي عنصر الشكل السائد، والحركة هي الشكل المنظم للعلاقة بين الصورة والمونتاج "[13]

لأن السينما هي فن الصورة، فإن هناك أنواع كوميدية خاصة تليق بالسينما، مثل كوميديا العائلة وكوميديا المواقف والكوميديا البوليسية، كما أن هناك أنواعا أخرى مشتركة بينها وبين المسرح، وذلك من أسباب الخلط الكبير في تصفيات الكوميديا بين المسرح والسينما، خاصة ما تعلق بأنواعها، وذلك يرجع لسبب بسيط هو أن السينما ولدت من رحم المسرح وقد استفادت منه كثيرا، لذلك نجد بعض التوافقات بينهما في بعض الأنواع، إلا بعض ما انفردت به السينما لوحدها.

"والكوميديا في السينما هي كوميديا يتم تحليلها واستقاء عناصرها من الشريط المصور، لا من النص أو السيناريو اللذان نادرا ما يتوافران للمتابعين والنقاد "[14]

فالكوميديا السينمائية تبدأ من النص المكتوب في قالبه الكوميدي الأول، ثمّ تأتي اللمسة الكوميدية الثانية التي تغزى إلى الصورة الإخراجية وتصور المخرج اللقطات، لتأتي اللمسة الثالثة بعد التصوير والمونتاج الذي تحدث فيه الإضافات الأخيرة لتخرج لنا في الصورة النهائية.

وإذا ما تعرضنا إلى سمات الكوميديا في السينما، نجدها تعتمد في أغلب أنواعها سواء كانت اسكاتشا أو كوميديا المواقف، أو فيلما طويلا على النكات اللفظية السريعة التي هي من أهم توابل العمل الكوميدي السينمائي وهي تتكون من جملة أو جملتين على أكثر تقدير، وتعتمد على السرعة والبنية الكوميدية التي تتكون من الخلط وعدم الانسجام وهي تتمحور حول فكرة واحدة وهدف واحد وقد تستخدم في سياق عمل كامل، وتكون بمثابة النهاية له، وخاتمته[15]، هذا من أجل إعمال فكر المتلقي، وتكون الخاتمة قهقهة.

وكما أسلفنا سابقا بما أن السينما هي فنّ الصورة إذ نجد أحيانا أن الصورة الكوميدية التي تعبر عنها اللقطة السينمائية هي ابلغ تعبيرا من أي حوار ,فإذا عدنا مثلا إلى أفلام شارلي شابلن إبان السينما الصامتة ,إذ لم يكن هناك حوار ولا صوت أصلا ,ولكن كل أفلامه كانت كوميدية وتؤدي الى سيل من ضحكات الجماهير ,يقول شابلن "إن مجرد طيران قبعة من فوق رأس رجل ليس بالأمر المضحك ,وإنما المضحك هو أن نرى صاحبها يجري خلفها وشعر رأسه طائر في الهواء وذيل سترته يخفق وراءه وحينما يتنزه رجل في الطريق هذا لا يبعث على الضحك ,وإنما إذا وضع في موضع حرج فهذا هو المضحك[16]

هوامش المقال:

[1] هاني ابوالحسن سلام –جماليات الإخراج بين المسرح والسينما ،دار الوفاء الاسكندرية، ص77.

[2] المرجع نفسه ص82،

[3]عقيل مهدي يوسف –جاذبية الصورة السينمائية – دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ط1 2001،ص23.

[4]ارتهايم رودولف –فن السينما–تر أ عبد العزيز فهمي –المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر –القاهرة دط.دت،ص32 .

[5]عقيل مهدي يوسف ،جاذبية الصورة السينمائية ،م س،ص24.

[6] هينري اجيل –علم جمال السينما – ترا ابراهيم العريس –دار الطليعة للطباعة –بيروت. لبنان 1990م

[7] محمد عناني –فن الكوميديا –الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة –دط.1998م

[8]محمد حمدي إبراهيم–نظرية الدراما الاغريقية –الشركة المصرية العالمية للنشر – مكتبة لبنان ناشرون – 1994.ط1،ص148.

[9] محمد حمدي إبراهيم نظرية الدراما الإغريقية ،ص 113.

[10] محمد عناني ،فن الكوميديا ، ص16.

[11] قيس الزبيدي، المرئي والمسموع في السينما،المؤسسة العامة للسينما،دمشق 2006،ص194-195.

[12] محمد منصور، الكوميديا في السينما العربية،المؤسسة العامة للسينما،دمشق 2002،ص75.

[13]أسامة القفاش،فن الكتابة الكوميدية،المؤسسة العامة للسينما،دمشق، دط 2012،ص34.

[14]فرانك حوتيران،فنون السينما،تر: عبد القادر التلمساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2004،ص75.

[15] هاني أبو الحسن سلالم ،جماليات الإخراج بين المسرح والسينما،م س ص22.

[16] أسامة القفاش،فن الكتابة الكوميدية، م س،ص34.